الإنسان والطبيعة في شعر إبراهيم ناجي

Man and Nature in the Poetry of Ibrahim Naji

د.علي عبدالكريم خليف الحوامدة

قسم اللغة العربية، كلية الآداب ، جامعة عجلون الوطنية ، الأردن

Aliabdalhawamdeh@yahoo.com

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى تحليل العلاقة بين الإنسان والطبيعة في شعر إبراهيم ناجي، من خلال الكشف عن الرموز والدلالات التي تعكس التجربة الوجدانية للشاعر في إطار الاتجاه الرومانسي. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي بتحليل نصوص مختارة من شعره للكشف عن ملامح الإنسان في معاناته وأحلامه، والطبيعة بوصفها مرآة لعواطفه وملاذًا من واقعه المؤلم. وتوصلت النتائج إلى أن ناجي جعل من الطبيعة كائنًا حيًا يتفاعل مع مشاعره، فجاء شعره مزيجًا من العاطفة والخيال، مجسدًا الفكر الرومانسي الإنساني. وأوصت الدراسة بضرورة توسيع البحث في شعره وشعراء مدرسة أبولو، وتعزيز الدراسات التي تربط بين الطبيعة والإنسان في الأدب العربي الحديث.

الكلمات المفتاحية: الإنسان. الطبيعة. إبراهيم ناجي. القصيدة الشعرية.

Abstract: This study aims to analyze the relationship between man and nature in the poetry of Ibrahim Naji by uncovering the symbols and meanings that reflect the poet's emotional experience within the framework of the Romantic movement. The study employed the descriptive-analytical method through an analysis of selected poems to reveal the features of humanity in its suffering and dreams, and nature as a mirror of emotions and a refuge from a painful reality. The results showed that Naji portrayed nature as a living being that interacts with his feelings, making his poetry a blend of emotion and imagination that embodies the essence of human Romantic thought. The study recommends expanding research on Naji's works and the Apollo poets, and strengthening studies that explore the relationship between nature and humanity in modern Arabic literature.

Keywords: Man, Nature, Ibrahim Naji, Poetic Composition.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، أما بعد:

تمثل الطبيعة في شعر إبراهيم ناجي[1] مظهرًا بارزًا حيث أكثر الشاعر من استخدامها، ورمز بها إلى أفكار وعواطف وجدانية تتعلق بالذات الإنسانية وطبيعتها النفسية. فامتزج البعد الإنساني في الطبيعة في أشكال متعددة تعبر عن هموم الإنسان بحس رومنسي يتخذ من العاطفة والمشاعر أساسًا للشعر.

ونحاول في هذه الدراسة معالجة قضية الإنسان والطبيعة في شعر إبراهيم ناجي من خلال الاعتماد على أشعاره وقد استخدمت المنهج الوصفي في البحث عن الإنسان والطبيعة في شعر إبراهيم ناجي. ووضعت لكل من الإنسان والطبيعة في شعره مبحثًا مستقلًا إضافة إلى تمهيد للدراسة.

أهداف الدراسة:

- معرفة الإنسان في شعر إبراهيم ناجي.
- معرفة رموز الطبيعة في شعر إبراهيم ناجي.
- علاقة إبراهيم ناجي بالرومانسية.

سؤال الدراسة:

كيف تعامل إبراهيم ناجي مع الإنسان والطبيعة في شعره؟.

مشكلة الدراسة

تبحث هذه الدراسة في أمثلة على الإنسان والطبيعة في شعر إبراهيم ناجي لمعرفة كيف تعامل الشاعر مع هذين المظهرين في شعره في ظل الاتجاه الرومانسي الذي يمثله إبراهيم ناجي.

تمهيد

اتجه الشعراء إلى وصف مظاهر الطبيعة في أشعارهم. فالكون الفسيح الذي يحيط بالإنسان يقع أمام ناظره في كل وقت، وفي كل حالات الإنسان الانفعالية، ولن الشاعر لا بدخل إلى الطبيعة متماهيًا معها، ينسج شعره بعيدًا عن مجرد الوصف العام. وقد تشكل الوصف للطبيعة "كمظهر خارجي تلتقطه العين

[1] ولد إبراهيم ناجي بن أحمد ناجي بن إبراهيم القصبجي في حي (شبرا) أحد أحياء القاهرة في عام 1898م/ 1316هـ، من أبوين متوسطي الحال، ولم يكونا مترفين ترفاً شديداً، ولم يكونا معوزين، كان أبوه مثقفاً ثقافة عالية، ولديه مكتبة جمعت ألواناً متنوعة من الأدب الغربي والعربي، ومعارف وعلوماً أخرى، وله ولعٌ بالقراءة والبحث والاطلاع، وما أن التحق إبراهيم بالمدرسة وبدأ يخطو فيها خطواته الأولى، حتى لمس فيه والده ملامح النجابة والذكاء والرغبة في الاطلاع والتحصيل.

بأبعاده وحدوده وألوانه؛ ولأن الشاعر العربي لم يتصل بالطبيعة اتصال ألفة وامتزاج فقد تناول الشكل بدون الجوهر، ورسم تفاصيل المظهر الطبيعي الخارجي دون أن يستشف ما وراءه أو يستخرج منه فلسفة ما أو يمتزج امتزاج ألفة ومحبة وصداقة"[1].

لقد تحولت نظرة الشاعر إلى الطبيعة، وأصبحت مدخلًا من مداخل التفكير، فالرومانسية قدمت الطبيعة على العقل بعد اعتزاز الكلاسيكية بالعقل. فالتجارب الذاتية هي إسقاطات من الإنسان على ما يدور حوله؛ ولأن الرومانسيين يعبرون عن ذاتهم بالخيال فإن الطبيعة عندهم أسلوب للإبداع؛ "لأنهم يعبرون عن مشاعرهم بعد أن يتمثلوها فهو يراها فكرة ويتأملها ويحولها إلى مادة تعبيرية عن جهد وعمل ومثابرة، لا مجرد استسلام للخيال والأوهام"[2].

ويعتمد الأدب الرومانسي على العاطفة والخيال، وتخلصت من قيود الكلاسيكية، ودعت إلى التحرر، وجعلت ذات الشاعر مصدرًا ومحورًا أساسيًا للتجربة الفنية، وجعلت من الإنسان سيدًا لنفسه، يتغنى بذاتيته، فجاء شعره غنائيًا صافيًا فيه عاطفة كبيرة يتدفق حماسة، تجذبه الطبيعة، وتدعو الرومانسية إلى مناجاتها والاندماج فيها ومحاكاتها ومحاورتها حتى أنها تحل فيه ويحل فيها بين الحلم والواقع[3] الذي يتشارك فيه الإنسان مع الطبيعة وجدانيًا وانفعاليًا.

وتغيرت نظرة الشاعر إلى الطبيعة في العصر الحديث بآثار من المد الرومانسي، فلم تعد الطبيعة ذلك المكان الذي يسير فيه الشاعر مخاطبًا الديار، أو متحدثًا مع أخيه الإنسان عن آثار المكان الذي كان مأهولًا بالساكنين. وتعامل الشاعر في العصر الحديث مع الطبيعة " على أنها حياة وروح وأخذ يخاطبها ويناديها، ويبادلها الأفكار والعواطف، وقد صورها بالصورة المعنوية التي تتلاءم مع انفعالاته[4]، وتصوراته بأسلوبه الرومانسي الخيالي دون أن يقف مع الواقع بتنظيم صورته المجردة في العقل الإنساني.

وإبراهيم ناجي من الشعراء الذين أسهموا في نشر الشعر الذي يتغنى بالطبيعة، وينظر إليها من منظور رومانسي بعيدًا عن التزامات العقل، ومجريات الواقع. وقد شكل إبراهم ناجي ومجموعة من الشعراء مدرسة لها نهجها وأسلوبها في الشعر أطلق عليها مدرسة أبولو مع أحمد زكي أبو شادي وخليل مطران وغيرهما "وشعراء أبولو يقدسون الطبيعة، لأنها الملاذ من كل ما يتضايقون منه، فأصبحت هي طريق الخلاص يعيشون فيها ويتحدون بها، ولم يصفوها وصفًا تقريريًا مباشرًا، وينشرون أحاسيسهم مع الطبيعة

---

(1) نشأت، كمال، **أبو شادي وحركة التجديد في الشعر** الحديث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005م، ص292.

(2) هلال، محمد غنيمي، **النقد الأدبي الحديث**، مطبعة نهضة مر، القاهرة، ط1، 1958م، ص 361.

(3) جيدة، عبد الحميد، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، دار المطبعة المحمدية للنشر والطباعة، القاهرة، 1977م، ص176.

(4) شاكر، زيد، وحمزة، عياد، **تجليات الطبيعة عند شعراء مدرسة أبولو: دراسة وصفية**، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد (4)، 2019م، ص123.

فالحب والذكريات والمستقبل والماضي المفقود، والحزن والألم والكآبة ونشيدهم نحو الحرية وغير ذلك من المشاعر والأحاسيس الجياشة يختلط مع الطبيعة ويتحد بها[1].

وقد امتاز شعر إبراهيم ناجي بالحس المرهف نحو الطبيعة في كل أجزائها، وشعره الذي مثل اتجاهًا رومانسيًا مع رفاقه في مدرسة أبولو كان معبرًا عن أبعاد إنسانية وعبر عن " أدب جديد لا توحي به عوامل مفروضة من الخارج، بمقدار ما هو منطلق من ذات الأديب وتصوره للحياة، وممارسته للتعبير عنها، لا يوحي به تقليد أو محاكاة، بمقدار ما توحي به إرادة التجديد والرغبة في الانطلاق من أسر المضامين القديمة، التي أوحت بها المخيلة، أو تصور مجتمعات غريبة عن إحساس الأديب وتفكيره[2].

لقد تأثر إبراهيم ناجي بالتيار الرومانسي في الأدب الغربي، وانغمس فيه، لأنه وجد اتحادًا وامتزاجًا بينه وبين نفسه الحزينة الهائمة المحبة للرومانسية، وقد رأى ناجي أن خير وسيلة لإدراك معنى الرومانسية هو قراءة روائع الرومانسيين من أمثال دي موسيه وهوجو[3] والشاعر الذي يعيش تجربة ذاتية واكتملت لديه المعرفة النظرية السابقة فإنه سيعطي لتجربته أسلوبًا خاصًا يمزج فيه المعرفة مع الإحساس مع القدرة على التعبير عن الذات. وقد امتزج إبراهيم ناجي مع الطبيعة بكل مكوناتها وعناصرها امتزاجًا في الإحساس قبل الامتزاج في الفن والتعبير الشعري.

ويمكن القول، وللشعر العربي الرومانسي خاصيّة مميّزة، فهو يعبّر عن نفسيّة الإنسان، في عالم مظلم حيث أمامك الإنسان الشّاعر، وهو متعدد المشارب متنوع الأذواق، فاستفاد الشعر من ذلك التّنوع وعرف انطلاقته الحديثة، مواكبًا الأدب الإنساني على العموم. وقد أنتج الشعراء شعراً، أكثر رونقًا، وأكثر تعبيرًا عن أحاسيس الإنسان، وهمومه، مستغلين ومستفيدين من تجارب الشعراء، في الأندلس، والشعر العربي الأصيل. ومال الشعراء الرومانسيون، فتوجهوا إلى الروح، والى الجمال، والى الطبيعة " وما من شك في أنّ أرواحنا جائعة، متطلعة في نهم إلى ما يغذّيها، والى كل ما يذكرها بإنسانيتها، وبريقها، بعيدًا عن وثنية الآلة وعبادة المادة، غذاؤها في رحيق زهر، وخرير نهر ، وإشراقة ثغر، وباقة شعر يغني لمواكب الإنسانية أهازيج الحب. وقد تجلى في هذا النوع من الحب عند شاعرنا مظاهر الطّهر والعفّة، كما تلوّن حبّه بألوان المشاعر النبيلة، والأحاسيس المرهفة، التي ينظر الشاعر من خلالها إلى الحبيبة، على أنّها فتاة أحلامه، التي ينبغي أن يحفها بسياج من المحبة، والسعادة، التي يحقق من تواجدها حلمه ولو في كوخ على هام السحب.

---

(1) نشأت، كمال، **أبو شادي وحركة التجديد في الشعر**، مرجع سابق، ص292.

(2) غلاب، عبد الكريم، **مع الأدب والأدباء**، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1974م، ص21

(3) جلال الدين، نازك، **الخصائص الفنية والمعنوية في شعر إبراهيم ناجي: دراسة أدبية نقدية**، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان، السودان، 2015م، ص311.

المبحث الأول: الإنسان في شعر إبراهيم ناجي

إنّ الاتجاه الرومانسي يعبر عن ذات الإنسان ورؤيته الخاصة التي يحاول أن يفسر فيها ما يراه، ويقرأ ما يحيط به بعيدًا عن الاحتكام إلى قرارات العقل. فالشاعر الرومانسي يعبر عن نفسية الإنسان في عالم مظلم يقف أمامه إنسان شاعر تعددت مشاربه وتنوعت معارفه فاستفاد الشعر من ذلك التنوع وعرف انطلاقته الحديثة مواكبًا الأدب الإنساني على العموم[1]. فإن الباحث عن الإنسان في شعر إبراهيم ناجي سيجد أمامه الإنسان بهمومه ومشاكله والقضايا التي تشغله في أرجاء شعره.

ويعبر الرومانسي إبراهيم ناجي عن موقف الإنسان من الحب الذي يعبر عن الانسجام المثالي للروح واصفًا غربة الروح والجسد وألمها الذي يفيض مع إحساسه[2]

ولما التقينا بعد نأي وغربة شجيين فاضا من أسىً وحنينِ
تسائلني عيناك عن سالف الهوى بقلبي وتستقضي قديم ديونِ
فقمت وقد ضجَّ الهوى في جوانحي وأنَّ من الكتمان أيّ أنينِ
يبث فمي سرّ لهوى لمقبّل أجود له بالروح غير ضنين
إذا كنت في شك سلي القبلة التي أذاعت من الأسرار كل دفين
مناجاة أشواق وتجديد موثق وتبديد أوهامٍ وفض ظنون
وشكوى جوى قاس وسقمٍ مبرحٍ وتسهيد أجفانٍ وصبر سنين

إنّ إبراهيم ناجي يعبر عن الإنسان وأسلوبه في معاناة الحب، وتظهر هذه الأبيات مشاعر مختلطة من فرحة اللقاء بعد الغربة والألم، وكذلك معاتبته المرأة التي لا تنقضي، وتوسل أعجب الذي ضج الهوى في جوانحه وفضحه الكتمان بأنينه، ويقدم أدلته على صدق حبه، بشاعرية يعبر فيها عن ذاته التي كانت تناجي الأشواق، وتجدد المواثيق ولا تقبل بالأوهام والظنون.

كما أن الشاعر يفسر لمحبوبته أسباب المرض الذي حل به، وأن سهره وابتعاد النوم عن أجفانه علامات للمحبة. ويضع دليله الأخير في صبره كل هذه السنين على الفراق دون أن يتغير الحب. وإن إبراهيم ناجي يبدو أكثر شعراء أبوللو تمثيلًا لمعانيه وأفكاره حيث يقدم الشعر المطبوع ويعبر عن العاطفة المتفجرة[3]؛ لأنه يمزج بين الذات والحب والألم في نص واحد يعبر فيه عن مشاعره وأحاسيسه الإنسانية بطريقة نفسية انفعالية تتجه إلى الشعور الإنساني الداخلي دون تحايل عليه باللغة أو العاطفة.

---

(1) الطريبق، حسن، **القصيدة العربية الحديثة والمعاصرة بين الغنائية والدرامية**، رسالة دكتوراه، جامعة الرباط، المغرب، 1989م، ص11.
(2) ناجي، إبراهيم، **ديوانه**، دار العودة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999، ص19.
(3) جلال الدين، نازك، **الخصائص الفنية والمعنوية في شعر إبراهيم ناجي: دراسة أدبية نقدية**، مرجع سابق، ص312.

وفي قصيدة يتحدث فيها إبراهيم ناجي غن راقصته في ملهى دخله؛ ليرى كيف تكون الحياة، ويتناول مجموعة من القضايا فعنده مشكلة الوحدة والألم والضيق الذي يسعى للتخلص منه[1]، يقول:

أمسيتُ أشكو الضيقَ والأينا مستغرقاً في الفكرِ والسأمِ
فمضيتُ لا أدري إلى أينا ومشيت حيث تجرّني قدمي
فرأيت فيما أبصَرَت عيني مَلهىً أعدَّ ليبهج الناسا
يجلون فيه فرائدَ الحسن ويباع فيه اللهو أجناسا
بغرائب الألوان مزدهر وتراه بالأضواء مغمورَا

إنّ إبراهيم ناجي بصور النفس الإنسانية في كل حالاتها، ويعبر عن مواقفها الذاتية، ويصور كل ما تراه. فالناس الذين يصورهم في شعره هم من أحوال الإنسان الذي استقر بهم هذا المكان لأسباب متعددة. فالشاعر قد استبد به الألم والضيق، وتعب من الحياة، فوجد أمامه هذا المكان ببريقه وأنواره التي اجتذبته كأنه فراشة تحوم حول الضوء[2].

فقصدته عَجِلاً ولي بصرٌ شبه الفراشة يعشق النورَا
ودخلتُه أجتازُ مزدحماً بالخَلقِ أفواجاً وأفواجا
وأخوض بحراً بات ملتطماً بالناس أمواجاً وأمواجا
فقدوا حجاهم حينما طربوا ودووا دويّ البحر صخّابا
فإذا استقرّوا لحظة صخبوا لا يملكون النفس إعجابا

إنّ دخول إبراهيم ناجي إلى هذا المكان يعد محاولة لوصف الإنسان في هذا المكان الذي امتلأ بالناس ولكن إبراهيم ناجي يتناول جزءًا من المشهد في قوله (فقدوا حجاهم) أي فقدوا عقولهم، فتصرفاتهم لم تعد واعية، فازداد صحبهم وارتفع صراخهم، ويعبر ناجي عن حالة إنسانية في درجات الطرب والانتشاء، وفقدان السيطرة على الذات. فالطابع الإنساني يجعل الإنسان لا يملك نفسه في مثل تلك المواقف. ويتساءل الشاعر يريد أن يعرف أين مكانه في هذا الضجيج الذي تأثر به، وأراد أن يجرب ما يفعلونه[3]

لِمَ لا أثور اليومَ ثورتهم لِمَ لا أجرّبُ ما يحبونا
لِمَ لا أصيح اليوم صيحتهم لِمَ لا أضجّ كما يضجونا
لِمَ لا تذوق كؤوسهم شفتي إنَّ الحجا سمّي وتدميري

---

[1] ناجي، إبراهيم، **ديوانه**، مرجع سابق، ص24.
[2] المرجع السابق، ص23-24.
[3] المرجع السابق، ص25.

في ذمة الشيطان فلسفتي ورزانتي ووقار تفكيري

يتعامل إبراهيم ناجي مع نصه الشعري من منطلق فهم الرومانسيين لوظيفة الأدب حيث إن "تصورهم لوظيفة الأديب من رؤيتهم لماهية الأدب ولمضمونه وبطريقة التعبير عن هذا المضمون فإذا كان الأدب تصويرًا لخلجات النفس وتطلعاتها فإن وظيفة الأديب تتمثل في أنه يشاطر العالم اكتشافاته في عوالم نفسه[1]. وقد استغل إبراهيم ناجي هذا الجانب الإنساني للحديث عن العقل الذي كان لفقدانه الأثر الكبير في توجيه الناس نحو الانفلات من كل القيود التي أحاطت بهم في حياتهم.

وكما أنهم هزموا القيود بتجربتهم فإن إبراهيم ناجي يتساءل ثائرًا على نفسه، وكل قيود عقله، وزانته، و وقاره، متحديًا كل شيء يريد أن يخوض تلك الطريق، ليتخلص من الضيق الذي يراه في عقله الذي يدمره. فالشاعر يتمرد على داخله ويعبر عن ذلك بالقيود التي تفرض عليه ويمثلها بعقله.

ويعبر أيضًا عن الحزن الذي يعيش في أعماق الإنسان في قصيدة (المآب) التي قالها في رفيق من رفاق الصبا رآه الناظم عليلًا محمومًا بعد غربة طويلة[2]

لِمَن العيونُ الفاتراتُ ذبولا ومَنِ الخيالُ موسِّداً محمولا
يا همّ قلبي في صبا أيامه وسهاد عيني في الليالي الأولى
عيناي كذّبتا وقلبي لم تدع دقاتُه شكاً ولا تأويلا
يا أيها الملك العليل أفق تجد مضناك بين العائدين عليلا
يوم المآب كم انتظرتك باكياً وبعثتُ أحلامي إليك رسولا
خاطبت عنك فما تركت مخاطباً وسألت حتى لم أدع مسؤولا
وغرقتُ في الأمل الجميل فلم أدع متخيَّلاً عذباً ولا مأمولا
وبكيتُ من يأسي عليك فلم أذر عند المحاجر مدمعاً مبذولا

إنّ الشاعر يفجر معاني الألم والحزن على التغيير الذي أصاب رفيق الصبا فقد وجده على غير ما كان يعهده في صباه، فالغربة غيّرت معالمه فالعيون ذابلة والجسد كأنه خيال محمول لا يستطيع أن يتحرك. إن إبراهيم ناجي لا يقدر على كتمان حزنه أو إخفاء مشاعره بل يطلق له حرية التعبير ويصف ما حلّ به من مشاعر الهم والحزن والألم على هذه الفاجعة التي أصابته، فعيناه لا تصدقان ما يرى، وقلبه يزداد خفقانه

[1] الفرفوري، فؤاد، **أهم مظاهر الرومنطقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فيها**، الدار التونسية للطباعة والنشر، 1988م، ص113.
[2] ناجي، إبراهيم، **ديوانه**، مرجع سابق، ص8.

فقد كان ينتظر في يوم المآب أن يجد شخصًا يعرفه عاش معه في طفولته، لا أن يجد شخصًا أصبح مجرد ذكرى.

ويبكي الشاعر تعبيرًا عن الحزن وفقدان الأمل، فلا فائدة من تخيل الأحلام الجميلة التي قضى عليها زمن الغربة. إن الشاعر في انتظاره ليوم (المآب) يعبر عن الألم الذي عاشه في حياته مع صديقه وغيرهما من الذين تغربوا ولم يعودوا إلى ما كانوا عليه. فالغربة كانت كفيلة بالقضاء على أحلامهم.

ويهرب إبراهيم ناجي إلى الخيال متخلصًا مما يحدث معه في واقع الحياة، ليترك لنفسه فرصة ولو كذبًا للتمتع بحياته[1]:

دع النفس تمرح في خيالٍ وأوهام وخلِّ لأجفاني كواذبَ أحلامي
وقل يا حبيب القلب إنك عائد على جهلِ حساد وغفلة لوّامِ
وإنك دانٍ كالربيع وزائرٌ بضاحك نوار ومخضلّ أكمامِ
تعال اسقني خمرَ المواعيد والرضا وخلّ الأماني البيض تغمر أسقامي
أيحرم حتى وهم حبك من رمى بمهجته في ناره دون إحجامِ
وأنفق فيه قلبه وشبابه فلم يَبقَ إلا الجرح والشفق الدامي

يتحدث الشاعر عن أحلامه الكاذبة وكأنها حقيقة يريد أن يعيشها. فالخوف من الواقع يجعل الشاعر يهرب نحو الخيال الذي يحاول أن يجد فيه مبتغاه. وتعد ظاهرة الهروب إلى أحضان الحي الدافئ، وإفراغ الشعراء عواطفهم الملتهبة فيها من الظواهر الرئيسية إلى جانب الطبيعة في الشعر الرومانسي بوجه عام[2]. فالطبيعة والحب يمتزجان في التعبير عن الشاعر ورغبته في تحقيق أمانيه، والتخلص من همومه وأحزانه متأملًا بأحلامه الكاذبة التي يراها في مظهر جميل من مظاهر الطبيعة، في فصل الربيع الذي تزهر فيه الحياة. ولكن هذه الأحلام تصطدم بالواقع فيصبح أمنيات فقط. والحياة غير قابلة للتقدم دون واقع. ولكن الشاعر الرومانسي يتعلق بأحلامه حتى أنه يرى السهم الذي فيه الموت يحتاج إلى الحب فيتعجب نفسه من حنوه عليه واشتياقه إلى الرامي. فالحب عاطفة إنسانية تتجاوز كل الممنوع، وتتقابل مع الصراع الذي يطمع فيه الإنسان أن يتجاوز كل ما يقف أمام تحقيق مشاعره التي يحبها أن تكون في مكانها فيجد نفسه في صراع دائم مع كل شيء، فلا يجد أمامه وسيلة سوى الهروب إلى الأحلام والخيال كي يحقق ما يريد.

---

[1] المرجع السابق، ص54.

[2] الرواشدة، حامد، **صورة المرأة في شعر إبراهيم ناجي: قراءة في قصيدة الأطلال أنموذجًا**، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد (43)، 2016م، ص1070.

لقد عبر إبراهيم ناجي عن الإنسان بعواطفه وأحلامه وهمومه وأحزانه. عبّر عن الألم الذي يجعل الحياة بين نار الصراع والبقاء. كما أنه لا يخلو من قدرة على التعبير عن مواقف الإنسان من العقل، وعلاقته بالآخر والبحث عن الخلاص من الآلام التي يعيشها. وإبراهم ناجي صوّر حال الإنسان في صراعاته وانهزاماته وخيباته في هذه الحياة التي يعيشها.

إن سفر إبراهيم ناجي الإنساني يمثل تعبيرًا عن روح الشبال المتوهجة باللهفة والتطلع إلى آفاق الحياة وإن كانت الظروف من حوله لا تساعده على الوصول إلى ما يريد، فيتولد في نفسه الشعور بالحرمان، ويتخذ من الشعر تنفيسًا وتعويضًا عما تنزع إليه روحه، دون أن يستطيع تحقيقه، إنه الحرمان الذي ينمي الشعور بالوحدة التي تلاحقه حيثما كان ومهما ابتعد عنها، ويقول[1]:

يا وحدتي جئت كي أنسَى وها أنذا ... ما زلت أسمع أصداءً وأصواتا

مهما تصاممتُ عنها فهي هاتفة ... يا أيها الهاربُ المسكينُ هيهاتا

جرَّت عليَّ الأماني مِن مجاهلها ... وجمَّعت ذِكراً قد كُنَّ أشتاتا

ما أسخف الوحدةَ الكبرى وأضيعها ... إذا الهواتف قد أرجعن ما فاتا

بَعثن ما كان مطوياً بمرقدِه ... ولم يزَلنَ إلى أن هبَّ ما ماتا

تلفّت القلبُ مطعوناً لوحدته ... وأين وحدته باتت كما باتا

حتى إذا لم يجد ريّاً ولا شبعاً ... أفضى إلى الأمل المعطوب فاقتاتا

هذه روح إبراهيم ناجي تتضح جلية من خلال الأبيات السابقة فهي مرآة تعكس ما يدور بداخله من عواطف وأحاسيس ومشاعر وهي تصور مأساته في الحياة ومعاناته من قسوة البشر وأمانيه التي لم يستطع تحقيقها وبلوغها.

وبقي أن نقول أن الرومانسية ذات الشاعر المحور الأساس، الذي تدور حوله التجربة الفنية، وجعلت من الإنسان سيّد نفسه ، وذاتيًّا إلى أبعد الحدود!! ولذا يأتي الشاعر الرومانسي غنائيًّا، صافيًا، ملتهب العاطفة، غزيرها متدفّق الحماسة، مرهفًا مجذوًبا إلى الطبيعة يناجيها مندمجًا فيها ينطقها، يحلّ فيها وتحلّ فيه، متأرجحًا بين الحلم والواقع. وهي الفن الذي بموجبه نقدّم للشعوب في حالتها الراهنة من العادات، والمعتقدات، أعمالاً أدبية جديدة، تعطيها أكبر قدر ممكن من المسّرة". إن الأدب الرومانسي الذي يمثله إبراهيم ناجي هو أدب العاطفة ،والخيال، والتحرر الوجداني، والفرار من الواقع، والتخلص من ربقة الأصول الفنية التقليدية للأدب، كما أنه يمثل روح الثورة ،والتمرد والانطلاق والحرية.

---

[1] ناجي، إبراهيم، دبوانه، مرجع سابق، ص107.

المبحث الثاني: الطبيعة في شعر إبراهيم ناجي

تعد الطبيعة جزءًا من حياة الإنسان. فكل البشر يعيشون في ظل ظروف تقرّبهم من الطبيعة بكل أشكالها. ولا يمكن للإنسان أن يكون دون مكان. والشاعر بإحساسه المرهف تعامل مع الطبيعة ووصف المكان لكننا إذا أردنا أن نتحدث عن الطبيعة في شعر إبراهيم ناجي فإننا سنتحدث عن الطبيعة في عيون الرومانسيين دون أن نقرر عدم اهتمام الشعراء العرب السابقين بالطبيعة، فشعراء الأندلس أبدعوا في وصفها وغيرهم أيضًا من الشعراء في العصور القديمة أو في الشعر الحديث المعاصر.

وإن وصف الشاعر للطبيعة هو صقل لذات الشاعر ليعالجها معالجة نفسية وليقوم بتشكيلها تشكيلًا مختلفًا[1]. والمشكلة في اتجاه الشعراء نحو الطبيعة لا تكمن في حضورها بل في كيفية تلبية صوت الطبيعة في أشعارهم، ولذلك اتجه الشعراء الرومانسيون إلى تجسيد الطبيعة والتعبير عنها بامتزاج يعبر عن الشعور والحالة النفسية للإنسان في انفعالاته أمام أحاسيسه ومشاعره.

فإبراهيم ناجي ينظر إلى مكونات الطبيعة بما تعبر به عن وجدانه وأفكاره وعواطفه الإنسانية[2]، ويقول:

عادت لطائِرها الذي غنّاهَا وشدا فهاجَ حنينَها وشجَاهَا
أيُّ الحظوظِ أعادَهَا لوفيّها ونجيّ وحدتها وإلفِ صباهَا
مشبوبة التحنانِ تكتم نارَها عبثاً وتأبَى أن يَبينَ لظاهَا

إنّ عودة الغريب ورجوع الحب يمثله الطائر الذي يعد مكونًا من مكونات الطبيعة التي يعيش فيها الشاعر. فالتعبير عن الحب متعلق بنظرة الشاعر إلى الطبيعة. وظهور الطبيعة يعني أن الشاعر غير منفصل عنها في تجربته العاطفية والوجدانية لذلك تتمركز الطبيعة غب موقع مؤثر عند التعبير.

ويضيف إبراهيم ناجي في القصيدة ذاتها مظهرًا طبيعيًا آخر[3]:

مدَّ الخريفُ على الرياضِ رواقه ومضى الربيعُ الطلقُ ما يغشاهَا
ما بالرياض كآبة في أرضِها وسحابة تغشَى صفاءَ سماهَا
جمدت حمائمُ أيكها وأنا الذي شاكيتُهَا فاغرورقت عيناهَا

يبكي الشاعر أحزانه عبر الطبيعة التي تتغير من الربيع إلى الخريف، فتنتشر الكآبة والحزن. غن إبراهيم ناجي لا يعبر عن الألم مباشرة أو أنه يصف الطبيعة الساكنة الوادعة بل إنه يتشارك معها وكأنها

---

[1] شاكر، زيد، وحمزة، عياد، **تجليات الطبيعة عند شعراء مدرسة أبولو: دراسة وصفية**، مرجع سابق، ص124.
[2] ناجي، إبراهيم، ديوانه، مرجع سابق، ص57
[3] المرجع السابق، ص58.

جزء من تكوينه الداخلي. فالحزن والفرح وانقلابات الدهر يعيشها الشاعر في أحضان الطبيعة. فالكآبة تجردت كما أن الخريف جرّد الأرض من أزهار الربيع. فيغلف الحزن قلبه كما تغلف الطبيعة انقضاء الربيع بثوب الخريف.

وخلق إبراهيم ناجي من الطبيعة من خلال قصائده الطوال روحًا حية وجعل منها كائنات مفكرة تشاركه في أحواله، ومن مظاهر الطبيعة التي تعجب كل من يملك حسًا مرهفًا البحر بسكونه أو هيجانه في اتساعه، أزلي لا يحده البصر، وقد تستمتع به سياحة أو برؤية السابحين نهارًا، أما أن نتملى المنظر في الغروب فذلك أدعى إلى التأمل الذي لا يخلو من حزن بعيدًا عن الأحياء وهو ما عبر عنه إبراهيم ناجي في " خواطر الغروب" قائلًا[1]:

وعجيب إليك يممت وجهـــي إذ مللت الحياة والأحباء

ما تقول الأمواج! ما آلـــم الشمس فولّت حزينة صفراء

تركتنا وخلفت ليل شك أبدي والظلمة الخرساء

وإبراهيم ناجي يمزج الطبية مزجًا شاعريًا في قصيدته بحيرة الفجيع، فيقول[2]:

وحفيف الأوراق همس حبيب مثل همس النجوم للشعراء

وعطور الأزهار ذابت حنينا بظلال تعانقت في الماء

في هذين البيتين تتضح الميول الشاعرية عند إبراهيم ناجي في نضجها وتفتحها فهو يؤكد أن الحب والطبيعة يتمازجان في نفس الشاعر، وهذا ما أكده في قصيدته " أقدام الدمن"، فيقول[3]:

يطلع الفجر مرهقًا شاحب النور علـيه الكلال والإعياء

وبنفسي دب المساء وحل الليل من قبل أن يحين المساء

وتبرز الطبيعة في أبيات إبراهيم ناجي يعبر بها عن الحب الذي يجمعه بالمرأة ولكن دون أن يكون في طريق يحقق فيه أحلامه مشبهًا نفسه بالصخر:

وإني الصخر الذي أردت أن لا يُغلبا

ويضرب البحر عليـــ ـه موجه منتحبا

علمت يأسي وجنو ني وجهلت السببا

يا أملي إنك يأ س القلب مهما اقتربا

---

(1) ناجي، إبراهيم، **ديوانه**، مرجع سابق، ص41.
(2) المرجع السابق، ص51.
(3) المرجع السابق، ص162

يا كوكبًا مهام أكن من برجه مقربا

فإنه يظل في السّـ ـمت البعيد كوكبا

وأين مني فلك قد عزني مطلبا

ليس إلى خياله إلا السهاد مركبأ

استبطئ الريح له واستحث الكتبا

في هذه الأبيات يعبر الشاعر عن حبه الذي لم يكتمل، ويضع أمام عينيه الطبيعة بمكوناتها فيشبه نفسه بالصخر الذي يجب أن يتحمل لكنه يصطدم بانتحاب البحر في ارتطام أمواجه الذي يواجهها. وهذا المشهد يعبر عن بكاء الشاعر وعدم قدرته على أن يكون صلبًا كالصخر في عذابه من الحب والحرمان الذي يعيشه فإن إرادته تكسرت أمام أمواج البحر الباكية وكانت الغلبة للمشاعر التي تحاصر الإنسان وليس لقدرته وعقله.

ويرى أن الحي اكثر شبهًا بالكوكب، وهو في هذا المظهر الطبيعي بعيد المنال، وصعب التحقيق لذلك أكثر من ذكره لليأس وأنه يستبعد الاقتراب مهما حاول السير في طريق الوصول إليها. فإن أمله عبارة عن حلم وخيال دون أن يجد له طريقًا في الواقع وحتى الريح السريعة فإنه يستبطئها لأنه يعلم أن تحقيق ما يريد ليس سهلًا.

ويعبر إبراهيم ناجي عن مرور المعر وانقضائه وانتهاء لحظات اللقاء بالبرق متأثرًا بالطبيعة التي يعيش فيها، ويرى أثرها فيمن حوله[1]:

ثلاث سنين أم ثلاث ليال هي البرق أم مرَّت كلمح خيال

وما كان هذا العمرُ إلا صحائفاً تلاشت ظلالاً رُحن إثر ظلال

وما كان إلا أمس لقياك إنه لأثبت ما خطّ الزمانُ ببالي

وما العمر إلا أنت والحب والمنى وما كان باقي العمر غيرَ ضلال

يعبر الشاعر عن الزمن في هذه الأبيات بطريقة غريبة حيث إن كل بيت من هذه الأبيات يظهر كيف أن الشاعر يحس بأسى مرور الزمن الذي لا يعادل عنده إلا مظهرًا من مظاهر الطبيعة يمتاز بسرعة الحركة وعدم القدرة على الإمساك به؛ لأن البرق سريع خاطف لا يجد فيه الإنسان فرصة لأي عمل يقوم به، وتلك السنين مرت دون أن يستطيع الشاعر من الإمساك بها فراحت وانقضت كأنها مجرد لقاء عابر.

وتتجلى الطبيعة في قصيدة (رحلة) التي يعبر فيها إبراهيم ناجي عن الألم والحزن، والسوء الذي أصاب فؤاده من جراء الحلم الذي اصطدم بالواقع المر[1]:

---

[1] المرجع السابق، ص281.

نقلت حياتي والحياة بنا تجري من الحُلم المعسول للواقع المرّ
فيا منتهى فنّى إلى منتهى الهوى على ذِروَةٍ بيضاء في النور والطهر
عرفتك عرفان السّماء ولم تكن سوى هَمَسات النجم ما جال في صدري
وغامت خطوط السفح حتى نسيتها وحتى توارى السفح من عالم الذكر
وفي القمم الشَّماء حلّقتُ حائماً وأنبتُّ في أعلى شواهقها وكري
ولم يبق إلا أنت والجنّة التي زرعنا وكلّلنا بيانعة الزهر
ولم يبق إلا أنت والنسمة التي تهبُّ من الفردوس مسكيَّة النشر
ولم يبق إلا أنت والزورق الذي ترنّح منساباً على صفحة النهر

إنّ هذه الأبيات لا تصف الطبيعة وصفًا سطحيًا أو مشاهد كونية عادية. وإنما هناك علاقات بني مظاهر الطبيعة وما يتحدث عنه الشاعر. فالحب والطبيعة يتمازجان في القدرة على التعبير عن الشاعر. فالرحلة عنوان القصيدة هي رحلة في أعماق الإنسان الذي يتأثر بالطبيعة، ويرى نفسه في الحلم الذي يعد هروبًا عن الواقع المر فالحلم معسول والواقع مر والطبيعة تشهد على حياة هذا العاشق.

فيرمز برموز الطبيعة بالذروة البيضاء علامة للطهر والنقاء. فالحب أسمى ما في نفس الشاعر فيرمز له بأسمى رقعة فمعرفته كمعرفة السماء بنجومها:

عرفتك عرفان السّماء ولم تكن سوى هَمَسات النجم ما جال في صدري

وبين السماء والأرض يذكر الشاعر السفح الذي يتوارى خلف القمم الشماء التي أنبتت الحب على شواهقها محلقًا حائمًا وحالمًا. إن رحلة الشعر التي تجوب أنحاء الطبيعة بل أنحاء الكون تعبر عن امتزاج الشاعر بكل ما في الطبيعة من أرض وسماء؛ ليرى بعد ذلك المحبوبة جنة كأنها أمر غيبي. فقد اشترك معها في زراعتها فأينعت أزهارها. وهي أيضًا مظهر آخر من مظاهر الطبيعة فكانت نسمة تهب من مكان غيبي آخر من الفردوس جميلة الرائحة كالمسك الذي ينتشر. وهي أيضًا زورق في نهر ينساب على المياه الزرقاء لتكتمل الرحلة بين ثلاثة عناصر السماء والأرض والماء.

إن الشاعر في هروبه نحو الطبيعة لم يكن واقعيًا، بل سافر مع خياله إن "إبراهيم ناجي شاعر العاطفة والوجدان والفكر والتأمل وشعره يفيض بمشاعر الألم واليأس والكآبة والغربة، وهي مشاعر استقاها من الحياة المرة الأليمة[2]. وقد عبر عن ذلك في نزوعه نحو الهروب نحو الخيال والامتزاج بالطبيعة.

---

[1] المرجع السابق، ص283.

[2] علي، عبد الهادي، **إبراهيم ناجي: شاعر العاطفة والوجدان**، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر، مصر، العدد 7، 1987م، ص391.

لقد كانت الطبيعة مظهرًا رمزيًا في شعر إبراهيم ناجي ولم يكن مشاهد وصفية عادية بدخلها الشاعر في نصه أو يتعامل معها، لأنها أمام عينيه، لقد حملت الطبيعة هموم إبراهم ناجي وتماهى معها في التعبير عن ذاته ومشاعره من حزن وكآبة وغربة أكثر من الفرح والسرور. كما أن الطبيعة كانت شاهدة على حب إبراهيم ناجي وعواطفه الجياشة التي كان يختبئ بحماية الطبيعة عن الواقع المرير الذي يعيشه فحمل على صناعة الحلم في أرجاء طبيعته التي يتخيلها بعيدًا عن مرارة الواقع.

الخاتمة

يعد إبراهيم ناجي من أبرز الشعراء الذين اهتموا بالإنسان والطبيعة في أشعارهم، ويعود ذلك إلى تعبير عن الاتجاه الرومانسي في شعره. وكما هو معروف فإن الرومانسية تهتم بالعاطفة والمشاعر والطبيعة في الفن. وقدم إبراهيم ناجي أشعارًا عبرت عن الألم والحزن والكآبة وامتزجت فيها العاطفة بالخيال.

وبرزت هموم الإنسان ومشاعره في أشعار إبراهيم ناجي، وعبر عن ذلك في موقفه من الحب، وكذلك في علاقته بالآخر الذي يمثل الغريب الذي فقد كل شيء، ويعني به ضياع أحلام الإنسان، والحيلولة دون تحقيقها. وطغت على المشاعر المكبوتة ومرارة الواقع على خواطر الإنسان في شعره.

وكان اهتمامه بالطبيعة مختلفًا عن الوصف المباشر، فقد كانت الطبيعة سيدة يمتزج بها بكلماته، ويعبر بها عن مشاعره، وعبر بها عن الهروب من الواقع فهي الملجأ الذي يتخلص به من مرارة الواقع. وهي طريق الحلم الذي يرتحل في أجوائه. وقد أشار إلى العديد من مكونات الطبيعة في شعره لتكون شريكة له في صناعة الحلم والتعبير عن المشاعر التي تخص ذات الإنسان.

المراجع

- جلال الدين، نازك، **الخصائص الفنية والمعنوية في شعر إبراهيم ناجي: دراسة أدبية نقدية**، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان، السودان، 2015م، ص311.
- جيدة، عبد الحميد، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، دار المطبعة المحمدية للنشر والطباعة، القاهرة، 1977م، ص176.
- الرواشدة، حامد، **صورة المرأة في شعر إبراهيم ناجي: قراءة في قصيدة الأطلال أنموذجًا**، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد (43)، 2016م، ص1070.
- شاكر، زيد، وحمزة، عياد، **تجليات الطبيعة عند شعراء مدرسة أبولو: دراسة وصفية**، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد (4)، 2019م، ص123.
- الطريبق، حسن، **القصيدة العربية الحديثة والمعاصرة بين الغنائية والدرامية**، رسالة دكتوراه، جامعة الرباط، المغرب، 1989م، ص11.
- علي، عبد الهادي، **إبراهيم ناجي: شاعر العاطفة والوجدان**، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر، مصر، العدد 7، 1987م، ص391.
- غلاب، عبد الكريم، **مع الأدب والأدباء**، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1974م، ص21
- الفرفوري، فؤاد، **أهم مظاهر الرومنطقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فيها**، الدار التونسية للطباعة والنشر، 1988م، ص113.
- ناجي، إبراهيم، **ديوانه**، دار العودة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999، ص19.
- نشأت، كمال، **أبو شادي وحركة التجديد في الشعر** الحديث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005م، ص292.
- هلال، محمد غنيمي، **النقد الأدبي الحديث**، مطبعة نهضة مر، القاهرة، ط1، 1958م، ص 361.